

كن متعاوناً





سلسلة كُن

٢٣

كُن متعاوناً

إعداد
منصور علي عرابي

إشراف
عاطف عبد الرشيد



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التَّعاونُ مُساعَدَةُ النَّاسِ بَعْضِهُم بَعْضًا، بِحَيثُ يُصبحُ كُلُّ فَرْدٍ مُعينًا لِلآخَرِ عَلَى إنْجازِ هَدفه؛ يَقُولُ تَعَالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَقَدْ بَعثَ اللهُ ـ عزَّ وَجلَّ ـ نَبيَّهُ مُحمّدًا ﷺ داعِيًا إِلَى التَّعاوُنِ ومُشجِّعًا عَلَيْهِ، حتَّى إنَّه ﷺ كَانَ أكْثَرَ النَّاسِ عَونًا لِلآخَرِينَ.

عَنْ عُثْمانَ بنِ عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: إنّا والله قَدْ صَحِبْنا رَسُولَ الله ﷺ فِي السَّفَرِ والْحَضَرِ وكَانَ يَعُودُ مَرْضانا ويَتبَعُ جَنائِزَنَا ويَغْزُو مَعَنا ويُواسِينَا بِالقَلِيلِ والكَثِيرِ. [أحمد].

ولِلتَّعاوُنِ فَائِدَةٌ عُظْمَى، وأَهَمِّيَّةٌ قُصْوَى، إذْ بِهِ يَسْعَدُ الفَرْدُ، ويَقْوَى الْمُجتَمعُ أَمامَ كُلِّ أمْرٍ عَسِيرٍ.

قَالَ ﷺ: "مَثَلُ المُؤمِنينَ فِي تَوادِّهِم وتَراحُمِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إذا اشتكَى منهُ عضوٌ تَدَاعَى لهُ سائرُ الجسدِ بِالسَّهَرِ والْحُمَّى" [متفق عليه]. والتَّعاوُنُ يكُونُ عَلَى البِرِّ وفِعْلِ الْخيرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

كُنْ مُتَعاوِنًا

الْمُتَخَلِّقُ بِخُلُقِ التَّعاوُنِ هُوَ مُسْلِمٌ حَقيقِيٌّ الإسْلاَمِ والإيْمَانِ، وَيَكْفِيهِ جَزَاءً أَنَّ اللهَ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ يكُونُ فِي عَونِهِ مَادامَ هُوَ فِي عَوْنِ أَخيهِ. ونُلَخِّصُ لَكَ خُلُقَ التَّعاوُنِ فِي المجالين الآتِيَيْنِ: التّعاون معَ المُسْلِمينَ، والتعاون مَعَ أفْرادِ أُسْرَتِكَ.

كُنْ مُتَعاوِنًا مَعَ المُسْلِمِينَ

الْمرءُ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ، كَثِيرٌ بِإخوانه، فَلَيْسَ مُسْلِمًا مَنْ لَمْ يكُنْ لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ عَوْنًا وسَنَدًا؛ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

كُونُوا جَمِيعًا يا بَنِيَّ إِذ اعْتَرى خَطْبٌ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا آحَادَا
تَأْبى الرِّمَاحُ إِذا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا وَإِذَا افْتَرقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادَا

*** مِنْ صُوَرِ التَّعاوُنِ :**

١ ـ زِيَارَةُ المرِيض : مِنْ دَلائِلِ تَعَاوُنِ المُسْلِمِ أَنَّهُ يَعُودُ أَخَاهُ المُسْلِمَ فِي مَرَضِهِ، وَيقُومُ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ؛ قَالَ عَطَاءُ ابنُ أَبِي رَبَاحٍ: تَفَقَّدُوا إخْوانكُم بَعْد ثَلاثٍ، فإِنْ كَانُواْ مَرْضى فَعُودوهُمْ، أَوْ مَشَاغِيلَ (مَشْغُولين بِشَيء) فأعِيْنُوهُم، أوْ كَانُواْ نَسُوا فَذَكِّرُوهُمْ" [الإحياء].

٢ ـ **قَضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ**: أَعْلَى دَرَجَاتِ مَوَدَّةِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ المُسْلِمِ أَنْ يَقُومَ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِه. قَالَ أَبُو جَعْفَر بنُ صَهْبَان: كَانَ يُقَالُ: أَوَّلُ المَوَدَّةِ طَلاَقَةُ الوَجْهِ (بَشَاشَتُه)، والثَّانِيَةُ التَّوَدُّدُ، والثَالِثَةُ قَضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ. [الإحياء].

٣ ـ **الإِخْوانُ فِي اللهِ**: المتَعاوِنُونَ مِنَ النَّاسِ يَحْظُونَ بِدَرَجَةٍ عُلْيا عِنْدَ اللهِ ـ عَزَّ وجَلّ ـ، وَإِنْ تَفَرَّقَتْ مَنَازِلُهُمْ وأَجْسَادُهُم؛ يَقُولُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: مَنِ اتَّخَذَ إِخْوَانًا كَانُوا لهُ أَعْوَانًا.

٤ ـ **الصَّدِيقُ المُسَاعِدُ**: لاَ يكُونُ الصّدِيقُ صَدِيقًا مَا لَمْ يكُنْ فِي عَوْنِ صَدِيْقِه وَمُساعَدَتِه إِذَا دَعَتْهُ الظُّرُوفُ إِلَى ذَلِك. قَالَ بَعْضُ الخُلَفَاءِ: صَدِيْقٌ مُسَاعِدٌ عضدٌ وَسَاعِدٌ. وقَالَ الشَاعِرُ:

هُمُـــومُ رِجَـــالٍ في أُمُـــورٍ كَثِيـــرَةٍ
وَهَـــمِّي مِـــنَ الـــدُّنيا صَـــديقٌ مُسَـــاعِدُ
تكُـــونُ كَـــرُوحٍ بَـــيْنَ جِسْـــمَيْنِ قُسِّـــمَتْ
فَجِسْـــمَاهُما جِسْـــمَانِ والـــرُّوحُ وَاحِـــدُ

٥ ـ **التَّعاوُنُ عَلَى الْبِرِّ**: أَفْضَلُ التَّعاوُنِ مَا كَانَ عَلَى الْبِرِّ وَفِعْلِ الخَير، فَفِيْه نَفْعُ النَّاسِ وكَمَالُ إِيْمَانِهِمْ؛ يَقُولُ الشَّيخُ مُحمَّد بِخيت ـ مُفْتي الدِّيارِ المِصْرِيةِ ـ: خَيرُ التَّعاوُنِ مَا كَانَ

عَلَى الْبرِّ والتَّقْوَى، وَأَنْفَعُ النَّاسِ أَنْفعُهُمْ للنَّاسِ، وكَمَالُ الإيْمَانِ أَنْ تُحِبَّ لأخيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَادَامَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أخيه.

٦ ـ **مُعَاوَنَةُ الْخَدَمِ**: لَمْ يُفَرِّقِ الإسْلامُ بَيْنَ النَّاسِ كَافَّة، ولَذلكَ فَعَونُ الْمُسْلِمِ لِخَادِمِهِ أَمْرٌ حَبَّبَ إِلَيْهِ الإسْلامُ وَرَغَّبَ فيه. عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغفَارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: سَابَبْتُ رَجُلاً بِأُمِّه، فَقَالَ لِيَ النّبيُّ ﷺ: " يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّه؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إخوانُكُم (الْخَدَمُ) خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكلِّفُوهُم مَا يَغلِبُهُمْ، فَإنْ كَلَّفْتُمُوهُم فأعِينُوهُمْ" [البخاري].

٧ ـ **التعاوُنُ بَيْنَ الزَّوْجَينِ**: الْحَيَاةُ الزَّوجِيَّةُ تَقُومُ عَلَى التَّعاوُنِ فِيمَا بَيْنَ الزَّوجَين، وَبِدُونِ ذَلِكَ التَّعاوُنِ تَفْسُدُ الْحَيَاةُ بَيْنَهمُا وَلاَ تصيرُ آمِنَةً؛ عَنِ السَّيدَةِ عَائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: "كَانَ النَّبيُّ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِه، فَإذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ قَامَ إِلَى الصَّلاةِ" [البُخاريُّ].

٨ ـ **الإرْشَادُ إِلَى الخَيْرِ**: أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِفعْلِ الخَيْراتِ، وَتَرْكِ الْمُنْكرات، وَمِنَ الْخَيْرِ أَنْ يُرْشِدَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ إِلَى فِعْلِ الخَيْرِ، وَلَهُ عَنْ ذلِكَ الجزَاءُ العَظِيمُ.

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ التَّعاوُنِ مَعَ إخْوانِكَ مِنَ الْمُسْلِمينَ بِمَا يَلِي :

١ ـ الاقْتِدَاءُ بالنَّبِي ﷺ : لَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أكثرَ النَّاسِ عونًا للآخرينَ وأسْرَعَهمُ لِفعْلِ الْخَيْرات، ومَدِّ يَد الْمُسَاعَدَةِ لِلْغَيْرِ، فالأحْرَى بنا أنْ نَقْتَدِيَ بِهِ ﷺ؛ قَالَت السَّيدَةُ خَدِيجَةُ ـ رضي الله عنها ـ لِرَسُولِ الله ﷺ عندمَا عَادَ إلَيْها منْ غَارِ حِرَاء بَعْدَ أنْ نَزَلَ عَلَيه الأمينُ جِبْريلُ بِالْوَحي: أبْشِرْ، فَوَالله لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أبَدًا، والله إنَّكَ لتصلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ (الثِّقْلَ) وتُكسِبُ الْمَعدومَ (الفَقيرَ)، وتُعِينُهُ عَلَى نَوائِبِ الحَقِّ" [البخاري].

٢ ـ مُجانَبَةُ التَفْرِقَةِ : نَهَى اللهُ ـ تَعَالَى ـ عَنِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ النَّاسِ وأَمَرَ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ بالتَّعاوُنِ والتَّمَسُّك بِدِينِ الله؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ويَقُولُ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

٣ ـ **التَّعارُفُ**: لَنْ يكُونَ الْمَرْءُ مُعِينًا لأخيهِ مَا لَمْ تكَنْ لَدَيْهِ رَغْبَةٌ حقَيقيةٌ فِي التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ والتَّقَرُّبِ مِنْهُ؛ يَقُولُ رَبُّ العزَّةِ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٤ ـ **مُقَاوَمَةُ الشَّيْطَانِ**: إنَّ إبْلِيسَ يَجْتَهِدُ فِي إفْسادِ الإنْسَانِ والتَّفريقِ بَيْنَهُ وَبْينَ إخْوانِهِ، وَعَلَى الْمُسْلِمِ أنْ يُقَاوِمَ ذَلكَ بِقُوَّةِ الإيْمَانِ؛ عَنْ جَابِر ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعثُ سَرَايَاهُ. فَأدْنَاهم مِنْهُ مَنْزِلَةً أعْظمُهُمْ فتْنَةً. يَجِيءُ أحَدُهُم فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وكَذَا. فيقولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُم فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ امرأتِهِ. قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنهُ ويَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ" [مُسلم].

٥ ـ **العَمَلُ لِخَيْرِ النَّاسِ**: يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يكُونَ مَعَاوِنًا لِجُمُوعِ النَّاسِ إِذَا كَانَ سَعْيُهُ لِعَمَلِ خَيرٍ يَعُودُ عَلَى الْجَمِيعِ؛ قَالَ عمر طُوسُون: مَزَايَا التَّعَاوُنِ كَثِيرَةٌ، وَأَفْضَلُها فِي نَظَرِي حُبُّ كُلِّ فَرْدٍ لِمَصْلَحةِ الآخَرِ، وَعَمَلُه لَخَيرِ الْجَمِيعِ.

٦ ـ اتِّباعُ وَصِيَّةِ الأنبياءِ: وَصَّى أنبياءُ الله جميعُهُم أقْوامَهُم بالتَّعاوُنِ وعَدَمِ التَّفرّقِ فيْمَا بَيْنَهُم، لِمَا تَتَحَقَّقُ لَهُم القُوَّةُ والسِّيادَةُ، وتَستَقِرُّ بِهِمُ الحَياةُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

٧ ـ الدُّعَاءُ: عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ أَنْ يَجْعَلهُ مُتودِّدًا للنَّاسِ مُتَعاوِنًا مَعَهُم، وأَنْ يُؤتِيَهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ مُقَوِّمات ذَلكَ مِنْ فَصَاحَةِ لِسَانٍ، وَرَغْبَةٍ فِي ذَلك العَوْنِ للنَّاسِ. يَقُولُ رَبُّ العِزَةِ عَنْ نَبيِّهِ مُوسَى ـ عليه السلام ـ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٥].

* * *

* ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ التَّعاوُنِ مَعَ إِخْوانِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

١ - تَقْوِيَةُ رُوحِ الْجَمَاعَةِ: مِنْ أَبْرزِ فَضَائِلِ التَّعاوُنِ أَنَّهُ يُقَوِّي رُوحَ الجَمَاعَةَ وَيَجْعلُها تَصْمُدُ أَمَامَ الشَّدَائد؛ يَقولُ شيخُ الأَزْهَرِ مُحَمَّدُ مُصْطَفَى المَرَاغِي: أَعْمَالُ التَّعَاوُنِ تُنَمِّي الشُّعُورَ لَدَى الأَفْرادِ بِحَاجَةِ بَعْضِهِم إِلَى بَعْضٍ، وتُقَوِّي رُوحَ الْجَمَاعَةِ، وَتَجْعَلُ مِنَ الأُسَرِ الْمُخْتَلِفَةِ أُسْرَةً وَاحِدَةً تَرْبِطُها الْمَصْلَحَةُ، وَإِذَا صَادَفَها التَّوفيقُ بِحُسْنِ اخْتِيارِ الأَخْيارِ، كَانَتْ مِنَ الوَسَائِلِ النَّافِعَةِ فِي تَقْوِيمِ الخُلُقِ وَنَشْرِ الفَضِيلَةِ وَرَغَدِ العَيْشِ.

٢ - أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ: الْمُعَاوِنُ لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَكُونُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وبِالتَّالِي فَهُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى النَّاسِ؛ عَنِ ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قَالَ: إِنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفعهُمْ لِلنَّاس، وأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَو تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، ولأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا (يَقْصِدُ مَسجدَ المدِينَةِ)، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ،

وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهيأَ لَهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ قَدَمُهُ" [الطبرانيّ].

٣ ـ **سُرْعَةُ الإنْجازِ:** بالتَّعاوُن يتحقَّقُ الإنْجازُ السَّرِيعُ لِلمَهَامِ والتَّكْلِيفَاتِ، وهَـذَا هُوَ سِرُّ أَيِّ تَقَـدُّمٍ بَشَرِيٍّ؛ يقُولُ إسْمَاعِيل صِدْقِي: لاَشَكَّ أنَّ مَا وَصلَتْ إلَيْهِ البِلاَدُ الغَرْبِيَّةُ مِنَ العَظَمَةِ الصِّنَاعِيّةِ والقُوَّةِ المَاليةِ إنَّما كَانَ بِفَضْلِ التَّعاوُن، وَقَدْ كَانَ مِنْ أسْبَابِ تَأَخُّرِنا فِي المَيادِينِ الاقْتِصَادِيَّةِ اعْتمادُنَا عَلَى الْمَجْهودِ الفَرديِّ الذِي فَاتَ أوانُ الاعْتماد عَلَيْهِ مُنْذُ أصْبَحَتِ الأنْظمَةُ العَالَميةُ مَبْنِيَّةً عَلَى وَفْرَةِ الْمالِ وفَخَامَةِ القُوَّةِ الآلِيَّةِ، ولِلْتَّعاوُنِ مِيزَةٌ أخْلاقِيَّةٌ لا يُسْتَهَانُ بِهَا وَهِيَ تَوافُرُ الثِّقَةِ بَيْنَ النَّاسِ؛ مما يُقَوِّي الرَوابِطَ ويُكْسِبُ الأُمَّةَ الاحترامَ.

٤ ـ **جُلَسَاءُ المَلاَئِكَةِ:** الْمُتَعاوِنُونَ مِنَ النَّاسِ يكَونُونَ جُلَساءَ لِمَلاَئِكَةِ اللهِ، فَهَل هُنَاكَ مَنْزِلَةٌ أعْلَى مِنْ ذَلِكَ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إن لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا، والمَلاَئِكَةُ جُلساؤُهُمْ، فَإِنْ غَابُواْ سَأَلُواْ عَنْهُم، وإِنْ كَانُواْ مَرْضَى عَادُوهُم، وَإِنْ كَانُواْ فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ" [أحمد].

٥ ـ **عَفْوُ اللهِ تَعَالَى:** إنَّ اللهَ تَعَالَى يَعفُو عَنِ الْمُتَعاوِنِ

ويرْحَمُهُ؛ عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَتَى اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِه أَتَاهُ مَالاً، فَقَال لَهُ: ومَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيا؟ قَالَ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]. قَالَ: يَا ربِّ، آتيتَنِي مَالَكَ فَكُنْتُ أُبَايعُ النَّاسَ، وكَانَ مِنْ خُلُقِي الجوازُ، فُكنْتُ أتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وأُنْظِرُ الْمُعسِرَ، فَقَال اللهُ: أَنَا أحَقُّ بِذَا مِنكَ، تَجاَوَزُوا عَنْ عَبْدِي" [متفق عليه].

٦ ـ عَوْنُ اللهِ: يكُونُ اللهُ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ بقُدْرَته العَظِيمَة مُعِينًا وسَنَدًا لِمَنْ يُعِينُ النَّاسَ وَيُسَاعِدُهُمْ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "... واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أخِيه" [مسلم].

٧ ـ البُعْدُ عَنِ النَّارِ: يكونُ الْمَرءُ الذي يُعينُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بَعِيدًا عَنِ النَّارِ قَرِيبًا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ. عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنَ اعْتِكَافِ عَشرِ سنينَ، وَمَنْ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتغَاءَ وَجْه الله تَعَالَى جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبيْنَ النَّارِ ثَلاَثَة خَنَادِقَ كُلُّ خَنْدَقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ (الْمشرقِ والمغربِ)" [الطبرانيّ والحَاكِمُ].

٨ ـ الثَّباتُ منَ اللهِ: يُثبِّتُ الله ﷻ المتعاونينَ منْ عِبَادِهِ يومَ القيامةِ، الأمرُ الَّذي يجعلُهمُ قَابَ قَوسينِ أَوْ أدنَى مِن نَعيم

الجنَّةِ وخيراتِهَا؛ قَال رسُولُ الله ﷺ: "... ومَنْ مَشَى معَ أخيهِ فِي حَاجَةٍ حتَّى يتهيأَ لهُ ثبَّتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تزِلُّ قَدَمُهُ" [الطبراني].

كُنْ مُتعاونًا مَعَ أفرادِ أسرتِكَ

الأسْرَةُ هيَ أسَاسُ كلِّ مجتمعٍ بَشريٍّ، ولا يصلُحُ المجتمعُ أوْ تستقرُّ مَا لَمْ يصلُحِ المجتمعُ، وصَلاحُ الأُسرةِ واستقرارُها أسَاسُهُ تَعاونُ أفرادِ الأُسرةِ الواحدة.

*** كُنْ ملتزمًا بخلُقُ التَّعاونِ مَعَ أَفرادِ أُسرتك بِما يلي :**

١ - مسَاعدةُ الابنِ للآباءِ : الأبناءُ أحقُّ النَّاسِ بعونِ آبائِهم ومُساعدتِهِم؛ وقدْ أمرَ الله نَبيَّهُ إبراهيمَ ﷺ ببنَاءِ بَيتِهِ الحَرام، فقَال إبراهيمُ لولده إسماعيلَ ﷺ: "إنَّ الله أمرني بأمرٍ قَالَ: "فاصْنَعْ مَا أمركَ ربُّكَ. قالَ: وتعينُني؟ قَالَ: وأُعينكَ. قالَ: فإنَّ الله أمرَني أنْ أبنيَ هَا هُنَا بيتًا. فعندَ ذَلكَ رَفَعَا القَواعد منَ البيتِ، فَأخَذَ إسماعيلُ يَأتي بالحجارةِ وإبراهيمُ يبنِي حتَّى إذَا ارتفعَ البناءُ وَهُمَا يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

٢ - التَّعاونُ فِي أعمالِ البيتِ : منْ صُوَرِ التَّعاونِ الأُسَرِيِّ أنْ تُعينَ أفرادَ أُسرتكَ فِي أعمالِ المنزِلِ المختلِفةِ، ففِي ذَلكَ

تظهَرُ روحُ التَّعاونِ؛ قالَ عليٌّ بنُ أبِي طَالبٍ لوالدَتِه السَّيدةِ فَاطِمةَ بنتِ أَسَدٍ ـ رَضِيَ الله عنهما ـ: اكْفِ بنتَ رسُولِ الله ﷺ (يقصدُ زَوجتَهُ السَّيدةَ فَاطِمةَ الزَّهراءَ ـ رضيَ اللهُ عنهَا ـ)، سِقَايةَ الماءِ وشِراءَ الْحَاجَاتِ، وتكفيكِ هي العملَ في المنزِلِ.

٣ ـ **إعانَةُ الزَّوجِ**: الزَّوجةُ الصَّالحةُ تَكُونُ عَونًا لزَوجِها وَمُساعِدًا فِي كلِّ شُؤونِ الحياةِ؛ تَزَوَّجَ الزُّبيرُ بنُ العوّامِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ السَّيدةَ أسماء بنتَ أَبِي بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ ولَمْ يكُنِ الزُّبيرُ حينئذٍ يَملِكُ خَادمًا، وكَانَ لديهِ فرسٌ، فَكَانتْ أسماءُ خيرَ عونٍ لزوجهَا، تقومُ بأعباءِ البيتِ مِنْ طحنٍ وعجنٍ وخبزٍ ورعايةٍ لفرَسهِ.

وتَحمَّلتَ أسماءُ ـ رضي الله عنها ـ كُلَّ هَذهِ الأعباءِ دُونَ شكْوَى أو كسلٍ، حتَّى رزقَهُمَا الله، وكثُرَ عندهُما الْخَيرُ، فالله ـ سبحانَهُ ـ يَرزُقُ مَنْ يشَاءُ بغَيرِ حِسَابٍ.

*** ثِمَارُ التمسُّكِ بِخُلُقِ التَّعاون مَعَ أفرادِ أُسرتِك:**

١ ـ **زيادَةُ الخيرِ**: يزيدُ الله ﷻ مِنْ رزقِ الأُسرةِ المتَعاونةِ ففِي التَّعاونِ دائمًا الخَيرُ الوَفيرُ؛ ممَّا يُرْوَى أَنَّهُ جَزاء لتَعاوُنِ أَسرةِ الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ أعطاهُمُ اللهُ الخيرَ الوَفيرَ بعدَ الشِّدَّةِ

والضِّيقِ، فقَدْ صَارَ لَهُم أكثرُ منْ ألفِ خادمٍ ومملوكٍ بَعْدَ أنْ كَانُوا لا يَمْلكُونَ خَادمًا واحدًا.

٢ ـ **الاستقرارُ الأُسَرِيُّ**: إذَا سَادَ التَّعاونُ بينَ أفرادِ الأُسرةِ الواحدَةِ، تَجِدُ هَذِه الأُسرةَ سعيدةً حيثُ الألفَةُ والمودةُ بينَ جميعِ أفرادِهَا.

لا تَكُنْ متفرِّقًا وحيدًا

التَّفرقُ ضِدُّ التَّعاونِ، وهُو بُعْدُ النَّاسِ عَنْ بَعضِهم بَعضاً، علَى الرَّغمِ من وجُودِهِم بِمحيطِ الأُسرةِ الواحدةِ أو المجتمعِ الواحدِ.

١ ـ **تفرُّقُ أَهلِ الكتَابِ**: حَذَّرنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ مُشابَهة أهلِ الكتابِ فِي تفرُّقِهِم وتشرُّدِهِم؛ عن مُعَاويةَ بنِ أبِي سُفيان ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قَالَ: قام فينَا رسُولُ الله ﷺ فقَالَ: "ألاَ إنَّ مَنْ قبلكُمْ مِنْ أهلِ الكتَابِ، افترقُوا علَى اثنتينِ وسبعينَ ملَّةً، وإنَّ هذِهِ الملَّةَ ستفتَرِقُ علَى ثَلاثٍ وسبعينَ: اثنتانِ وسَبعُونَ في النَّارِ، ووَاحِدَةٌ في الجنَّة، وهي الجماعةُ" [أبُو داود وأحمد].

٢ ـ **رَأسُ الفتنةِ**: أخبرَ النَّبِيُّ ﷺ أنَّ الشيطانَ ـ لعنَهُ الله ـ رأسُ الفتنةِ، حيث يَسْعَى إلَى التفريقِ بينَ النَّاسِ.

عنْ جَابرٍ ـ رضيَ الله عنهُ ـ قالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: "إنَّ إبليسَ يَضعُ عَرشَهُ عَلَى الماءِ، ثُمَّ يبعثُ سَرَاياهُ فأدنَاهُم منهُ منزلةً

أعظمُهُم فتنةً؛ يجيءُ أحدُهُمْ فيقولُ: فعلتُ كذَا وكذَا فيقولُ: مَا صنعتَ شيئًا قالَ: ثُمَّ يجيءُ أحدُهُم فيقُولُ: مَا تركتُهُ حتَّى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِهِ قالَ: فيُدنيه منهُ ويقُولُ: نِعْمَ أنتَ" [مُسلم].

٣ - عَديمُ الحجَّةِ: المفارقُ للجماعةِ لا حُجَّةَ لهُ عندَ الله سبحانه، عنْ ربعيٍّ بن حراشٍ أَنَّهُ أَتَى حُذيفَةَ بنَ اليَمانِ، فقَالَ يا ربِعيُّ، مَا فعَل قَومُكَ؟ وَذَلكَ عندمَا خرَجَ إلَى عُثمانَ، قالَ: قَدْ خرَجَ منهُم نَاسٌ. فَقَالَ حُذيفَةُ: سمعتُ رسُول الله ﷺ يقُولُ: "مَنْ فَارقَ الجماعةَ، واستذَلَّ الإمَارةَ، لَقِيَ الله وَلاَ حجَّةَ لهُ عند الله" [أحمد].

٤ - ضَربُ العُنُقِ: أَقرَّ النَّبيُّ ﷺ بضَربِ عُنُقِ الْمُفَرِّقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وقتلِه عقابًا لهُ؛ عنْ عرفجةَ - رَضِيَ اللهُ عنهُ - قَالَ: سَمعتُ رسُول الله ﷺ يقولُ: "إنَّهُ ستكُونُ هَنات وهَنَاتُ (الفتن)، فَمنْ أراد أنْ يُفرِّقَ أمرَ هَذه الأُمَّةِ وهي جميعٌ، فاضربُوهُ بالسَّيفِ، كائنًا مَا كانَ" [مسلم].

٥ - طريقُ الْحَقِّ: دَعَا الإسلامُ إلَى التزامِ طريقِ الحقِّ وعدَمِ الابتعَادِ عنهُ؛ يقولُ تعالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

اعرفْ نفسَك.. هلْ أنتَ متعاونٌ؟

عَليكَ أيهَا القارئُ الكريمُ أنْ تُحدِّدَ بينكَ وبينَ نفسِكَ إذَا كُنتَ متَعاونًا أمْ لا. ونقدّمُ لكَ هذِهِ الأسئلةَ لتعينكَ علَى ذَلِكَ فيها نعرفُ أنفُسَنَا:

١- هل تَحرصُ علَى زيارةِ إخوانكَ المسلمين فِي مَرضِهم؟

٢- إذَا دعاكَ أحدُ النَّاسِ إلَى قَضَاءِ حَاجةٍ من حوائجِهِ، فَهَل تُلبِّي طلبهُ أمْ تنشغلُ بأمُوركَ؟

٣- هَلْ تستمرُّ فِي مصادقَة امرئٍ لا يساندُكَ في الشَّدائدِ؟

٤- إذَا كَانَ لديكَ خادِمٌ بِمنزِلِكَ، فَهْلَ تُحسنُ إليه؟

٥- هلْ تُجَاهِدُ نَفْسَك في مُقَاومَةِ الشَّيطان؟

٦- هَلْ تُدَاومُ علَى إسدَاءِ الخَيرِ للنَّاسِ؟

٧- هَلْ تَتَحرَّجُ من مسَاعدةِ أفرادِ أسرتِكَ في شُؤونِ المنزِلِ؟

٨- لِمَاذا تَحرصُ علَى مَساعدةِ الآخرين ومُعاونتِهم؟

٩- هَلْ تنصحُ أصدقَاءكَ بالتمسُّكِ بخُلقِ التَّعاونِ؟

١٠- لِمَاذَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ الشَّيطانَ بأنَّهُ رَأسُ الفتنةِ؟

** ** **

سلسلة كن

٨١٠٠٥٤